رجل الادارة

فى ميدان الخدمة الاجتماعية

لحضرة صاحب السعادة على جمال الدين باشا

"هذه آراء رجل خبر الإدارة وأساليبها ، وعرف فضائلها ونقائصها ، وأدرك مايستطيعه رجل الإدارة فى ميادين الخدمة الاجتماعية ، وجاء يدلى بنتائج خبرته وتجاربه فى هذا المقال المتع البديع" .

المحرر

رجل الإدارة أكثر موظفى الدولة اتصالا بميادين الخدمة الاجتماعية ، لأنه أكثرهم اتصالا بالمجتمع وأعلمهم بمواطن النقص فيه . ولرجل الإدارة بين الجمهور مكانة تختلف عن المكانة التى يحتلها غيره من الموظفين . ففى الأقاليم ينتهى السلك الادارى الى منصب المدير ، وقلما يتصل المحكومون بالمراجع الادارية العليا فى وزارة الداخلية . فالمدير ومرءوسوه هم الهيئة الحاكمة فى الإقليم يعلمون من شؤونه ودخائله وحاجاته ما لا يعلمه الوزير الا بواسطتهم وفى الصورة التى يصورونها . ويستطيعون أن يقدموا لأهل الإقليم من الخدمات ما لا يفكر فيه الوزير الا اذا اقترحوه عليه وأقنعوه به . ومن ثم فرجل الادارة اذا أدرك مهمته الاجتماعية إدراكا صحيحا كان عامل الاصلاح وأداة التعمير ورسول الخير والرحمة للناس .

لقد قضيت من حياتى أربعين سنة فى الوظائف الادارية ، وارتقيت سلم هذه الوظائف من بداية درجاته الى نهايتها ، فاذا كانت هذه الخبرة الطويلة أوحت إلىّ شيئا فهو أنه يجب على رجل الادارة أن ينأى بنفسه عن الغرور الذى يزين له أنه حاكم باطش قاهر ، وأن من عداه من المحكومين عبيد طائعون أو جند محضرون ، وألا يتجاوز فى سلوكه مع الناس ذلك الحد الدقيق الذى يفصل بين الشجاعة والتهوّر ، وبين التواضع والضعة ، وبين القصاص والقسوة ، وبين الحلم والجبن . وفى اعتقادى أن هذه النصيحة ان كانت حرية بأن تسدى الى جميع الناس على اختلاف مناصبهم وطوائفهم ، فرجل الإدارة أحق بها وأولى ، لأن أسباب الاستهواء والاطغاء تتزاحم حوله : فمن الناس ضعفاء يخشون سطوته فيخشعون بين يديه ويذلون ، ومنهم متملقون يوهمونه أنه بلغ الذروة فى العلم والخلق والجاه والسلطان ، ومنهم أغنياء ذوو مصالح وحاجات يتقون اليه الوسيلة بإهداء الهدايا ومد الموائد وتهيئة أسباب التسلية والمتاع ، وتلك رشوة مستورة وشراء للذمة مقصود وإن صيغ فى قالب الصداقة والتودّد ، ومنهم أشرار يثيرون بجرأتهم و بإجرامهم غضبه وقد يخرجونه عن طوق الحلم والأناة .

وهكذا تصطلح على رجل الادارة عوامل الافساد فلا يعتصمه منها إلا اليقظة وضبط النفس وكبح الشهوة والشعور الدائم بأنه من المجتمع واليه ، وبأنه إن كان حاكما فى مكان فإنه وعشيرته وأهله محكومون فى مكان آخر ، فهو مسئول أن يعطى محكوميه من العدل والبر والخدمة الصادقة مايريده لنفسه وأهله من حاكميهم .

و إذ كان السلك الادارى فى الأقاليم كما قدمت ينتهى الى المدير ، واذ كان المدير أرفع موظفى الدولة فى إقليمه منصبا ومرتبا ، وأوسعهم نفوذا وأكثرهم جاها ، فان عليه من الواجبات الاجتماعية مالو نهض ببعضه لأدّى الى محكوميه أنفع الخدمات .

فهو يستطيع بوسائله و بكياسته وحسن تصرفه أن يجعل نفسه راعيا لأسرة الموظفين ، مهما تختلف الوزارات التى ينتمون اليها ، ومرشدا ومسترشدا ، ومعينا ومستعينا .

نعم إنه ليستطيع أن يتزعم الجميع ويفيد بجهودهم إقليمه أحسن الفائدة وأعمها وأسرعها . ولا خير فى استقلال كل فريق من الموظفين الإقليميين بتفكيره وأعماله ، بل الخير فى التساند مادامت الحكومة كلها شخصا معنويا يقوم على خدمة الشعب .

اذا نجح المدير أو المحافظ فى أن يجعل منه ومن رئيس النيابة ومفتشى الرى والزراعة والتعاون ومأمور الأوقاف ومدير التعليم أو رئيس المنطقة التعليمية ومفتشى صحة المديرية وغيرهم من ممثلى الجهات الحكومية أسرة تتشاور وتتآزر فى شؤون الإقليم ، سواء فى الزيارات المتبادلة أو فى المجالس الخاصة أو فى اجتماعهم بنادى الموظفين ، فان سائر الشؤون الاجتماعية تكون قد حصرت فى أيد متشابكة متضافرة ، وفى عقول متقاربة متجاورة ، و يتهى جهدها حتما إلى خير الإقليم و إسعاده .

وقد استطاع كثير من المديرين بمكانتهم عند الجمهور أن يفضوا المنازعات ، و يطفئوا جذوة الخصومات . كما استطاع آخرون أن يجعلوا من المجالس البلدية أو مجالس المديريات التى يرأسونها قوى للبناء والتعمير . وكم قد رأينا من المشروعات العامة كالمكتبات والمتنزهات والملاجئ والمدارس ما نهضت به هذه المجالس وكان الموحى بها هو المدير . ومهمة المدير لا تقتصر على الايحاء ، إذ هو لا يكفى فى كثير من الحالات حيث تكون المدينة أو المديرية بعيدة عن مراكز الحضارة . فان الأعيان الذين يحظون بالنيابة عن مثل هذه المناطق يحتاجون الى أكثر من الايحاء . ولذلك رأينا أثر النشاط الذى يبديه المدير أو المأمور فى اصلاحات كثيرة لم تكن لتتم لولا الايحاء تتلوه المثابرة النشيطة فى حمل الأعضاء على قبول المقترحات وتنفيذها . ولسنا بذلك ننقص من قيمة نشاط الأعضاء فى مجالسنا المحلية ولكن الاختبارات السابقة أثبتت أن للمدير أو المأمور النشيط قوة التوجيه للكثير من هذه المجالس .

وكذلك الأمر فى إنشاء المؤسسات الخيرية . فان رجل الادارة يمكنه أن يقترح وأن يقود الحملة للتبرعات . ذلك أن الأعمال الخيرية انما يقصد منها تخفيف الأعباء التى لا يستطيع أن يتحملها المحتاجون اليها . ورجل الادارة أعرف الموظفين بهؤلاء المحتاجين .

والمدير يرى فى إقليمه التعطل والفقر والمرض والتسول ويقف بنفسه على آثارها السيئة ففى مقدوره أن يحمل الأغنياء والموسرين على إقامة الملاجئ والمستشفيات ، وأن يدبر العمل للعاطلين . وقد يقال إن هذه الأعمال يجب أن تكون ثمرة لمجهود الحكومة ، والحقيقة أننا اعتدنا أن نقول هـذا القول مع أن أعظم المبرات إنمـا قام به الأبرار فى أوربا وأمريكا بجهودهم الفردية قبل أن تتولاها الحكومات . ولا يقل أثر رجل الادارة فى الريف عنه فى المدن ، بل لعله يزيد . وفى مثل ظروفنا القومية الحاضرة وما تضطر اليه الحكومة من القيام بتكاليف خطيرة يجب أن يستعين رجل الادارة بأفراد الجمهور وبأموالهم على سائر الأعمال والمنشآت الاصلاحية . ولا نستطيع أن نتهم جمهورنا بالبخل ، لأن الحقيقة أننـا لم نسبر مدى ما فى نفوس الناس من خير ، ولكنا نرى أعيانا وأغنياءنا يتفاخرون بالاسراف فى الأعراس والمآتم ، وينفقون المـال جزافا على الحفلات والمظاهر الزائلة . وهم إنما ينبعثون الى هـذا الإسراف باعتقاد أنه ضرب من الشهامة والنخوة والأريحية ، ويطلبون به الكرامة والاحترام عند أبناء وطنهم . فاذا استطاع المدير أو المأمور أن يقنعهم بأن الكرامة والاحترام إنما ينالان بالعمل البـاقى المثمر ، والمبرة النامية المفيدة فانه يستطيع أن يملأ إقليمه أو مركزه بالمؤسسات الخيرية سواء فى المدينة أو الريف .

والى جانب هـذا يمكن لرجل الإدارة أن يعمم حركة التعاون . فان جميع الذين درسوا مسائل الفلاح يجدون أن التعاون هو الوسيلة العاجلة الوحيدة فى الوقت الحاضر للإصلاح الريفى . وكل ما تحتاج اليه جمعية التعاون هو البـدء فى تأليفها مع القليل من المـال . وليس البدء شاقا إذا كان رجل الادارة يقترح المشروع ويساعد على جمع العدد اللازم من الفلاحين المستأجرين أو المزارعين المـالكين ويدعوهم الى تأسيس الجمعية بعد أن يبين أغراضها ويشرح الفوائد العظيمة التى تعود على جميع الأعضاء منهـا بل على جميع سكان القرية . وكثير من الريفيين فى مصر يجهلون فوائد التعاون ، بل منهم من لم يسمع به . ولو عرفوا حقيقته لسارعوا الى تأليف الجمعيات التعاونية ، ولأدى ذلك الى نهضة اقتصادية زراعية عمرانية تملأ البلاد رفاهية ورخاء .

ورجل الادارة هو اليد اليمنى للنيابة العامة . وهو أحيانا يصل الى ما لا يصل اليه المحققون من دقائق الحوادث الجنائيـة وأسرارها . كما أن الموبقات والمفاسد التى تتفشى فى بيئته تجد منه دراية بتفاصيلها وأسبابها . ومن الحسن أن نستغل فيه هذه الميزات وأن نطلب اليه

الإدلاء بآرائه فى جميع المشروعات العامة التى نقصد منها الى الترفيه عن الطبقات الفقيرة والمحرومة ، ويجب أن نعترف بأن مركزه يتيح له الوقوف على كثير من الحقائق التى نجهلها فى كل شأن يتصل بالخير العام .

وانى لأغتبط إذ أرى وأقرأ من أخبار المديرين والمحافظين فى هذه الأيام ما يدل على فهمهم هذه الآراء واتجاههم هذه الوجهة ، وأن أجدهم يشغلون أنفسهم بتخفيف آلام المتألمين من العمال والفلاحين . فمنهم من يقدم الى الحكومة اقتراحات تتعلق بتسوية ديون المدينين المهددين فى أراضيهم وبيوتهم ، ومنهم من تفاهم مع مديرى المحالج والمصانع على أن يقدموا مجانا الى العمال طعام الغداء مرة كل أسبوع ، ومنهم من يقيم أندية للألعاب الرياضية خاصة بهذه الطوائف الفقيرة ، يراد بها خدمة أجسامهم بجانب الخدمات الأخرى التى تؤديها وزارة الصحة .

ومن أولئك المديرين والمحافظين من وضع نظاما لتحسين التعليم الالزامى وجعله "إقليميا" بمعنى الكلمة ، بحيث يتعلم أطفال كل قرية ما امتازت به قريتهم من صناعات خاصة كالنسيج أو صنع السجاد والأحذية أو غير ذلك ، مع تدبير حياة الخريجين بعد تخرجهم ، إما بإيجاد أعمال لهم ، وإما بإحالتهم الى مدارس أرقى وأكفل لمستقبلهم .

ومنهم من حض مرءوسيه من المأمورين على أن يعمموا بمساعدة الأعيان والنابهين المجالس القروية والجمعيات التعاونية والمتنزهات الصغيرة ومضخات الحريق والأجهزة البسيطة الصنع التى تخرج ماء صالحا للشرب ، ولا تكلف الناس باهظ النفقات .

ومنهم من رق لحالة الألوف المؤلفة من حفاة الأقدام ، فابتكر لهم نعالا رخيصة متينة يصونون بها أقدامهم ، ويحفظون جسومهم مما تجلبه الآفات التى تصيب القدمين من أمراض وعلل .

وهكذا يستطيع رجل الادارة أن يبتكر ويملأ الحياة الاجتماعية نشاطا ونفعا ، وليس أحد أوفر منه حيلا ووسائل ، وأبرك ثمرات ومنافع ، اذا خلصت نيته وصدق اتجاهه الى الخدمة الاجتماعية .

هذه الأمثال التى ضربناها تفسح الطريق أمام من لا يزال يسأل أين الطريق ، ولعلنا عن قريب ، لانجد بين رجال الادارة من يقصر همه ومنصبه على أن يتلقى الأوامر من الرؤساء ليلقى بها الى المرءوسين ، أو من يحسب أن الموكب المحفوف بالحاشية والاتباع ، والحفل المونق المفعم بمظاهر التكريم وخطب التمجيد هما كل اختصاص المنصب وكل ما يهم الحاكم والمحكوم .

على جمال الدين